تقـديم

يقصد بكلمة موسوعة : كل عمل يجمع بين دفتيه مجموعة من الحقائق ، تـدخل في دائرة العلم الإنساني ، وهي إما أن تكون : معلومات عامة مختصرة في جميع ميادين المعرفة ، أو كما يقال : من كل بستان زهرة ، وإما أنها تشتمل على فرع بعينه من فروع المعرفة ؛ فتعمقه ، وتقدم فيه موضوعات تصلح مراجع للباحثين في هـذا الفـرع، أو غيره من المعارف .

وعلى ذلك .. فالموسوعة تختلف عن القـاموس في أنهـا لا تقتـصر عـلى تقـديم التعريف فقط (مثل القاموس) وإنـما تقـدم تأريخـا للموضـوع ، وتوضـيحا لعللـه ، وتبيانا لعلاقاته بالموضـوعات الأخـرى المتـشابهة ، كـذلك تختلـف الموسـوعة عـن التقديم أو عن الكتاب السنوي ؛ لأن هذين الشكلين لا يشتملان إلا على الأحـداث التي وقعت حديثا . هذا إلى جانب أن كلا من التقديم والكتـاب الـسنوي يـصدران على فترات متتالية ، بخلاف الموسوعة التي تشتمل على أحداث ومعلومات ووقـائع وحقائق تقع في أزمنة طويلـة ، بالإضـافة إلى أنهـا تـصدر كوحـدة متكاملـة تعـالج موضوعا واحدا بعينه ، كما نرى في هذا الجزء الثاني ، أو السابق، أو الجزء اللاحق من موسوعة : (أعلام المجددين في الإسلام) ، في أنها تـشتمل عـلى موضـوعات تـدور حول التأريخ لهؤلاء المجددين مـن القـرن الأول الهجـري في الإسـلام حتـى الربـع الأول من القرن الخامس عشر الهجري.

وقد تقترب الموسوعة في إعدادها وكتابتها من دائرة المعارف ، حتى يكاد أن يكون معناهما واحدا . ولذلك .. هناك من المهتمين بالعمل الموسوعي الذي لا يفرق بين العملين ، ويراهما واحدا حين يتحدث عن أحدهما أو عنهما معا .

وقد عرفت الثقافة العربية العمل الموسوعي ، أو قل : دوائر المعارف .وقد ظهر ذلك في القرن الرابع الهجري وامتداده في القرن الخامس الهجري ، حين قدم إخوان الصفا ما يمكن أن يقال عنه : موسوعة ، أو دائرة معارف كما سنرى بعد قليل . وفي الفترة نفسها أو قبلها قدم «أبو نصر الفارابي» موسوعة أسماها : «إحصاء العلوم» كانت آية في عمقها ودقتها .

وفي العصور الوسطى .. تمت بعد ذلك محاولات عربية متعددة يتقدمها موسوعة العلامة «النويري» واسمها : (نهاية الأرب في فنون الأدب) كانت في ثلاثين جزءا ، رتبها في خمسة فنون : الأول في : السماء والآثار العلوية والأرض والعالم السفلي ، والثاني في : الإنسان وما يتعلق به ، والثالث في : الحيوان وما يشتمل عليه ، والرابع في : النبات ، وذيله بأنواع الطب ، والخامس في : التواريخ .. وكذلك موسوعة : (خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب) «لعبد القادر البغدادي» ... وغيرها من الأعمال الموسوعية التي اهتمت بتجميع المعارف والعلوم والآداب .

هذا .. وقد تطور العمل الموسوعي بوجه عام تطورا بطيئا حين اعتمد على الترتيب الأبجدي ، حتى لم يصل هذا العمل إلى مثال يحتذى به ، حتى عام 1704 ميلادية حين نشر «جون هاريس» المعجم الفنى ، وبعده بربع قرن تقريبا نشر «إبهريم تشامبرز» موسوعة كانت مرتبة ترتيبا أبجديا ، وتتميز بأنها عمل اشترك فيه عدد من المؤلفين ، وبأنها تستخدم العلامات المرقومة أو الدالة على الإحالة ، إلى أن ظهرت الطبعة الأولى من (دائرة المعارف البريطانية) في ثلاثة مجلدات ، كانت تجمع بين ترتيب المواد ترتيبا أبجديا ، وترتيبها حسب النظام العلمي . بعد ذلك ، توسع هذا

العمل في (دائرة المعارف البريطانية) حيث حوت الكثير من التراجم والموضوعات ، ومازالت طبعاتها تتوالى ، ومجلداتها تزيد في كل طبعة ، حتى وصلت إلى عشرات المجلدات التى يرجع إليها كل باحث عن المعارف في كل بلاد العالم . وتبع دائرة المعارف البريطانية، كل من : دائرة المعارف الفرنسية التي اشترك في تأليفها عدد من المؤلفين والفلاسفة والمفكرين الفرنسيين، يتقدمهم الأديب الفرنسى الأشهر «ديدرو» ويعتبر ما قاموا به من أشهر دوائر المعارف على الإطلاق ، ثم الموسوعة الألمانية ، ومن بعد هذه الموسوعة الألمانية ، تم نشر الموسوعة الأمريكية المعروفة (أمريكانا) . التي حدث في إعدادها التغيير والتطوير ، حتى لم يبق منها إلا اسمها .

وفي العالم العربي .. نشر «بطرس البستاني» الستة مجلدات : الأول من (دائرة معارف البستاني) في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، ثم أخرج «سليم البستاني» المجلدين : السابع والثامن ، كما أنجز كل من «نجيب ، ونسيب بطرس البستاني» كلا من المجلدات : (التاسع والعاشر والحادي عشر) ، وذلك بالاشتراك مع «سليمان البستاني». وفي عام 1954م قام «فؤاد إفرام البستاني» بإعادة النظر في المجلدات المنشورة السابقة من (دائرة معارف البستاني) تمهيدا لإتمام العمل ، وذلك بالاشتراك مع لجنة من العلماء اللبنانيين وأشقائهم العرب . لكن في أثناء ذلك ، أو بالتحديد عام 1928م ظهرت (دائرة معارف القرن العشرين) للأستاذ «محمد فريد وجدي» ، وفي عام 1955م صدرت (الموسوعة العربية) في مجلد واحد .

وبعد ذلك .. وصل التأليف الموسوعى إلى ذروته من حيث اكتماله والتزامه بالمنهج العلمي في إعداد الموسوعات ودوائر المعارف في الوطن العربي أو في الخارج. لتظهر بمصر (الموسوعة العربية الميسرة) في منتصف ستينيات القرن الماضى ، حيث اشترك في تأليفها وإعدادها نفر من كبار المفكرين والأدباء والكتاب تحت إشراف المؤرخ الكبير «محمد شفيق غربال» ، لتصدر في مجلد واحد تقترب صفحاته من الألفي صفحة . يتبعها بعد ذلك العديد من الموسوعات ، ودوائر المعارف العربية

والمترجمة التي تشتمل على شتى المعارف التي تهم الباحث والمثقف العربي ؛ حيث تكون في متناول يده لتعينه على مواصلة البحث . ومن هذه الموسوعات العربية : (موسوعة سفير) التى تدور حول الإسلام، و(موسوعة المعلم) التي لم تكتمل ، والتي تهتم بموضوعات ومعارف مختلفة .

ومن أهم الموسوعات ودوائر المعارف المترجمة : (دائرة المعارف اليهودية) التى قام بترجمتها «الدكتور عبد الوهاب المسيري» ونشرتها دار الشروق ، ودائرة المعارف الإسلامية التي لم تكتمل ، والتي اشترك في كتابتها نفر من المستشرقين والمهتمين بالثقافة العربية الإسلامية ، وقام بترجمتها إلى العربية كل من الأستاذ «إبراهيم زكى خورشيد» والدكتور «عبد الحميد يونس» والأستاذ «أحمد الشنتناوي» ونشرتها دار الشعب في أعداد أسبوعية ثم جمعتها في مجلدات ، على الرغم من عدم اكتمالها وتوقف هؤلاء المترجمين .

وفي هذا الجزء الثاني من: موسوعة: (أعلام المجددين في الإسلام)، والذي قبله والذي بعده محاولة لتقديم أعمال ومواقف الأعلام المجددين في الإسلام في خمسة عشر قرنا هجريا .

وفي هذا .. تجدر الإشارة إلى أمرين يتعلقان بهذه الموسوعة ، واختياري للعمل فيها منذ سنوات ، والذي كانت نتيجته : وجود هذه الباقة العظيمة من المجددين في الإسلام .

فأما **الأمر الأول** فهو في: اختيار العمل الموسوعى ذاته، كقالب يمكن أن يحتوي الحديث عن التجديد ورجاله ، أو منهج يمكن في ضوئه تقديم هذا الجانب المهم من التفكير الإسلامي .. ولعلي هنا استأنست بما صنع الأجداد العرب الأقدمون حين أبدعوا هذا العمل كنوع من التنوير الذي سبقوا به الأوروبيين ؛ حيث لم يكد يأتي القرن الرابع الهجري وامتداده في القرن الخامس ؛ حتى بدأت حركة التنوير العربي الإسلامي بكل ملامحها وتفاصيلها تظهر للعيان ، وكانت رسالة إخوان الصفا بمثابة

الموسوعة أو دائرة المعارف التي هي عادة رمز يشير إلى التنوير ، وذلك من ناحية جمع المعلومات وتبويبها ونشرها .

وأما **الأمر الثاني** فهو يتعلق بمنهج العمل الموسوعي ذاته ، فقد نلحظ في الصفحات التالية أننا لا نلتزم بالمنهج التقليدي المتبع في كتابة الموسوعات ودوائر المعارف ، حيث يتم ترتيب الشخصيات حسب الحروف الأبجدية ، وذلك لعدم صلاحية هذه الطريقة على هؤلاء المجددين ؛ إذ كيف يمكن وضع المادة الخاصة بعمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب أو عمر بن عبد العزيز بعد عشرات من المجددين الذين يجيئون قبلهم وفقا لترتيب الحروف الأبجدية من حرف الألف حتى حرف العين الذي فيه هذه الشخصيات الفذة في تاريخ الإسلام . ولهذا كان علينا أن نختار منهجا آخر للكتابة عن هذه الشخصيات مع غيرها .. كان علينا أن نتوسل بالترتيب أو التسلسل التاريخي في الخمسة عشر قرنا الهجرية آخذين في الاعتبار : الترتيب أو التسلسل التاريخي داخل القرن الهجري الواحد بقدر المستطاع ؛ فأحيانا ما تقابلنا صعوبة أو عقبة ، مؤداها : عدم توافر تواريخ الميلاد لأغلب المجددين . وفي هذه الحالة لا مفر من الاعتماد على تواريخ الوفاة التي يتفق حولها أكبر عدد من المؤرخين للأخذ بها في هذا التسلسل التاريخي .

ويتضمن هذا الجزء الثاني : الحديث عن أعلام المجددين في سبعة قرون ، تبدأ من القرن السادس الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري ؛ حيث نلاحظ قلة في المجددين في بعض القرون خاصة كلا من القرون : العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر ، ولعل ذلك يرجع إلى تدهور الأحوال في العالم العربي الإسلامي في بعض القرون ، وما يتبعه من تدهور في التفكير .

لكن .. على الرغم من ذلك ، فقد ظهر في هذه الفترة – الممتدة من القرن السادس الهجري إلى الثاني عشر الهجري – عدد من فلاسفة الإسلام المبرزين

يتقدمهم : ابن سينا والغزالي وابن خلدون وابن عربي ... وغيرهم ، كما يظهر أيضا عدد من المؤرخين الثقات من أمثال: ابن أبي أصيبعة والذهبي والسيوطي والمقريزي.. وغيرهم .

على أنه في الإمكان : حصر هؤلاء المجددين في الأسماء التي استطعنا أن نرصدها، والتي تعلن عنها الصفحات التالية من هذا الجزء الثاني ، راجيا من الله أن أكون قد أوفيت ببعض الغرض كبداية لخطوات تالية .

والله ولي التوفيق .

سامح كريم

القاهرة الجديدة – أكتوبر 2008

obeikandl.com